

تأملات في

آخر سورة الأعراف

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُذَوِّتُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ لَعْنُهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُذَوِّتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ٥٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ ذَلِكَ آدَعٌ أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُذَوِّتُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا لِحُدُودٍ وَاقِفُوا تَقْبِلُوا ٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٦٥ يَوْمَ تُغْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا اطعنا اللَّهَ وَاطعنا الرَّسُولَ ٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَ ٦٧ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنَا كَبِيرًا ٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ٦٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه^(١).

أما بعد:

فإن سورة الأحزاب سُميت بذلك؛ لأن الله ذكر فيها غزوة الأحزاب، وهي غزوة الخندق وسُميت الأحزاب؛ لأن العرب بقيادة أبي سفيان تحزبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه، واجتمعوا لحربه، وطوقوا المدينة.

وسُميت الخندق؛ لأن النبي ﷺ حفر خندقاً حول المدينة - بمشورة سلمان الفارسي عليه السلام - يمنع دخول العدو إلى المدينة.

وهي غزوة عظيمة حصل على المسلمين فيها من الضيق والحرَج وتكالب الأعداء من الداخل والخارج، المشركون من الخارج، واليهود والمنافقون من الداخل كلهم تألَّبوا على المسلمين يريدون

(١) مُحاضرة بعنوان: الدورة التفسيرية من آخر سورة الأحزاب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾. إلى آخر السورة، أُلقيت بمدينة الرياض بحي الشفاء بجامعة علي بن أبي طالب عليه السلام بتاريخ ١٤٢٦/٤/١٠ هـ.

القضاء على الإسلام؛ ولكن الله تعالى كتبهم، ورددهم خائبين: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿يعني﴾ أعانوهم من اليهود ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٦] الآيات. إلى آخر ما ذكر الله ﷻ.

وهي سورة عظيمة بدأها الله بخطاب النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

ثم ذكر ﷻ فيها: إبطال التبني في الإسلام ونسخه، وجعل الظهار طلاقاً، وجعله يميناً مكفرة.

وذكر فيها: احترام بيوت النبي ﷺ، وألا تُدخل إلا بإذن، ولا يجلس الداخلون فيها جلوساً طويلاً؛ لأن ذلك يؤذي النبي، فيستحيي منهم.

ثم ذكر ﷻ: أن زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين في الاحترام والإجلال، وتحريم تزوجهن بعد النبي ﷺ؛ لأنهن زوجاته في الجنة.

وذكر ﷻ: أنه ختم الرسالات بمحمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فهو آخر الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - لا نبي بعده.

ثم ذكر حقاً من حقوق النبي ﷺ على الأمة في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فحقوق النبي ﷺ على أمته عظيمة وكثيرة، وأولها: الإيمان به ﷺ، واعتقاد رسالته، ثم طاعته ﷺ، وامتنال أمره واجتناب نهيه، وتصديقه فيما أخبر، والالتزام بسنته، وعدم إحداث البدع التي ليس لها دليل من سنة الرسول ﷺ.

ثم محبته أشد من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١).

لأنه هو الذي هدانا الله به من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، وأنقذنا به من الجاهلية إلى نور الإيمان والعلم، وهو الذي من اتبعه وسار على سنته يكون من أهل الجنة بإذن الله، فله فضل عظيم على المسلمين؛ فلذلك عظمت حقوقه ﷺ على الأمة.

ومنها: الصلاة والسلام عليه قال الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أخبر ﷺ أنه هو وملائكته يصلون على النبي، ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا ويسلموا عليه، هذا من حقوقه ﷺ، فالله -جل وعلا- أخبر أنه صلى عليه بنفسه هو، وأن الملائكة في الملاء الأعلى تصلي عليه، وأن المؤمنين في الأرض يصلون عليه ويسلمون عليه.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومعنى الصلاة من الله -جلّ وعلا- : ثناؤه على عبده في المَلَأ الأعلى .

ومعنى الصلاة من الملائكة : الاستغفار ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

فَاللَّهُ يَصَلِّي عَلَيْكُمْ بِمَعْنَى : أنه يشني عليكم أيها المؤمنون ، والملائكة تصلي عليكم بمعنى : أنها تستغفر لكم ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٧-٨] الآية . فالملائكة تستغفر لبني آدم .

فالصلاة من الملائكة الاستغفار ، والصلاة من آدميين : الدعاء ، فأنت إذا قلت : صلى الله عليه وسلم تدعو للرسول ﷺ بأن يشني الله عليه ، فمعنى : اللهم صل على محمد : اللهم أثن عليه في المَلَأ الأعلى تكريمًا له وتعظيمًا له ﷺ .

والصلاة والسلام على النبي مشروعة بالإجماع وأحيانًا تجب ، كما في التشهد الأخير ، وهي ركن من أركان الصلاة ، وأما ما عدا ذلك فهي مستحبة ومتأكدة ، وتصلي عليه دائمًا وأبدًا وتكثر من الصلاة عليه ؛ لأن هذا من حقه ﷺ تصلي عليه كلما ذكر اسمه أو مر اسمه ، قال ﷺ : «من

صلى عليّ واحدة، صلى الله عليه بها عشراً»^(١).

ويصلي عليه القريب والبعيد، القريب من قبره ﷺ ومسجده، والبعيد كلهم يصلون عليه، وتبلغه صلاة المصلي، قال ﷺ: «صلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٢).

وتكون الصلاة والسلام عليه بهذه الصيغة: صلى الله عليه وسلم، هكذا لقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

أما من يقول: صلى الله عليه وعلى آله، فهذا إنما ورد في التشهد الأخير في الصلاة الإبراهيمية، أنه يصلي على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد، أما ما عدا ذلك فإنك تقول: صلى الله عليه وسلم، ولا تقل: صلى الله عليه وآله.

أولاً: لأن هذا شيء لم يرد، وغالب كتب الحديث، وكتب الفقه، وجميع الكتب غالبها فيها صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً: هذا من شعار الشيعة هم الذين يقولون: صلى الله عليه وعلى آله، فنحن لا نشأ بهم في هذا؛ بل نقول: صلى الله عليه وسلم، أو نقول: صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، هذا هو المشروع. ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٩١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٢٠٤٢)، ورواه الإمام أحمد في المسند برقم (٨٧٩٠) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالْآخِرَةُ ﴿[الأحزاب: ٥٧].

الذين يؤذون الله - جل وعلا - بتنقصه ، والإشراك به ، ونسبة الولد إليه ، كما تقوله النصارى والمشركون من العرب ، هؤلاء يؤذون الله ورسوله ؛ بل جاء في الحديث القدسي : «إن الله تعالى يقول : يؤذيني ابن آدم ؛ يسب الدهر وأنا الدهر ، أَقْلَبُ الليل والنهار»^(١).

وفي رواية : «وأنا الدهر بيدي الأمر ، أَقْلَبُ الليل والنهار»^(٢).

فالدهر ليس له تصرف ؛ وإنما هو مخلوق ، فمن ذم الدهر فقد ذم المتصرف في الدهر ، وهو الله ﷻ ، وهذا يؤذي الله ، والله - جل وعلا - يتأذى بالمعاصي والشرك ؛ ولكنه لا يتضرر ؛ لأن الله لا يضره شيء ﷻ لا تضره معصية العاصين ، ولا تنفع طاعة الطائعين ؛ لأنه هو الغني الحميد .

فمن أذية الله - جل وعلا - : الإشراك به ، ومن أذية الله - جل وعلا - : مسبة الدهر كما في الحديث ، ومن أذية الله ﷻ : فعل المعاصي وارتكاب المحرمات ، فإنها معصية لله .

فالعاصي يؤذي الله - جل وعلا - ؛ لأنه خالف أمره وعصى أمره ، فأذية الله تتنوع وعلى المسلم أن يتجنب ما يؤذي الله ﷻ من جميع الأقوال والأعمال والتصرفات .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة ؓ .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٨٢٦) من حديث أبي هريرة ؓ .

وأذية الرسول ﷺ تكون بتنقصه - عليه الصلاة والسلام - ، أو أنه ما بَلَغ الرسالة ، أو أنه قصر في البلاغ إلى غير ذلك من أذية الرسول .

ومن أذية الرسول ﷺ : الكلام في زوجاته ، أو تنقص بعض زوجاته أو بناته - عليه الصلاة والسلام - ، فإن هذا يؤذي الرسول ﷺ .

وكذلك ممَّا يؤذي الرسول : تنقص الصحابة ؛ لأن صحابة رسول الله ﷺ هم خير القرون وأفضلها ، وهم الذين نشروا هذا الدين وبلغوه بعد الرسول ﷺ ، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول ، فالذي يسبهم أو يتنقصهم - كالرافضة والشيعة - هؤلاء يؤذون الله ورسوله ، نسأل الله العافية .

وجزاء الذين يؤذون الله ورسوله ما ذكره في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ اللعن معناه : الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، هذا جزاء من يؤذي الله ورسوله ، أن الله يطرده ويُبْعده من رَحْمَتِهِ - جل وعلا - .

ومن أذية الله كما جاء في الحديث : التصوير ، فإن المُصَوِّرِينَ يؤذون الله - جل وعلا - ؛ لأنَّهم يتشبهون بالله في خلقه يضاهئون خلق الله - جل وعلا - ، فهم يؤذون الله ورسوله .

جاء عن بعض السلف أن المُصَوِّرِينَ معنيون في هذه الآية الكريمة : ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فهم مطرودون من رَحْمَةِ الله في الحياة الدنيا وبعد المَوْت ، وفي الدار الآخرة ، لا مطمع لهم في رَحْمَةِ الله ، ليسوا ملعونين في الدنيا فقط ؛ بل وفي الآخرة ، وهذا دليل على شقاوتهم وعلى

حرمانهم من الرحمة بصفة دائمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. هذا وعيد آخر، فالذين يؤذون الله ورسوله لهم عقوبتان:

* الأولى: أن الله لعنهم في الدنيا والآخرة.

* العقوبة الثانية: أن الله أعد لهم عذاباً عظيماً في الآخرة، وهذا وعيد شديد، نسأل الله العافية.

ثُمَّ قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

المؤمن له حرمة بعد حرمة الله وحرمة رسوله، فلا يجوز أذيته، لا في دمه، ولا في عرضه، ولا في ماله، ولا في جميع ما يؤذيه؛ بل يكف المؤمن عن أخيه المؤمن فلا يؤذيه بأي نوع من الأذى؛ لأن المؤمن له حرمة وحق على أخيه المؤمن فلا يليق بالمؤمن أن يؤذي أخاه، أو يُسيء إليه بأي نوع من الإساءة.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: إذا كانت الأذية للمؤمن من باب القصاص عقوبة له على معصية، كإقامة الحد عليه، أو توبيخه، أو تعزيره، فإذا كانت أذيته بحق، فإن هذا غير مَمْنُوع؛ بل هذا مشروع، أما أذيته بغير حق، بضرب، أو حبس، أو قتله، أو أخذ ماله، أو أذيته في أهله، أو في أولاده، أو الكلام فيه، أو تعييره، أو غيبته، كل هذا أذية للمؤمنين.

وأشد من ذلك: تكفير المؤمن، أو تفسيق المؤمن، أو تبديع

المؤمن بغير حق ولا دليل ، هذا أعظم أذية للمؤمنين ؛ ولهذا جاء في الحديث : «إذا قال لأخيه : يا كافر ، يا فاسق ، يا عدو الله ، وهو ليس كذلك حار عليه»^(١) . يعني : رجع إثم كلامه عليه .

فاحترام المؤمن واجب ؛ لأن له حرمة عند الله ﷻ ؛ لكن إذا كان ذلك بحق بأن كان من باب القصاص ، فلا بأس ، قال الله تعالى : ﴿عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

وقال تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] .

فإذا كان هذا من باب القصاص فلا بأس ، أو كان هذا من باب العقوبة على عمل عمله من أجل أن يرتدع أو من باب إقامة الحد ، أو القصاص ، أو التعزير ، أو غير ذلك ، فهذا أمر مشروع ، وليس هذا من أذيته ؛ بل هذا من تقويمه وتربيته ، وكف شره عن الناس .

وقوله تعالى : ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ أي : من آذوا المؤمنين بغير حق . ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ البهتان : الكذب . ﴿وَإِنَّمَا مِثْنًا﴾ أي : كبيراً -والعياذ بالله- بيناً واضحاً ؛ لأنهم انتهكوا حرمة المؤمنين بغير حق ، كذبوا عليهم ، ونسبوا إليهم ما ليس فيهم من تكفير ، أو تبديع ، أو تفسيق ، أو تعيير ، أو تشهير ، أو غيبة ، أو لَمَزَ بالألقاب ، وتنقص ، كل هذا لا يجوز في حق المؤمن فمن فعله فإن الله أخبر أنه من الذين ﴿أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ . كذباً ﴿وَإِنَّمَا مِثْنًا﴾ تحملوا إثمًا بهذا الشيء .

(١) انظر : صحيح الإمام البخاري برقم (٦١٠٣ وما بعده) ، وصحيح الإمام مسلم برقم (٦٠ وما بعده) .

بعض الناس يتساهل في تطاوله على الناس، ويظن أنه شيء سهل، وهو قد تحمل بُهتانًا وإثماً مبينًا، نسأل الله العافية، فهذا فيه التحذير من التعدي على المؤمنين.

ثُمَّ فَرَضَ الْحِجَابَ عَلَى نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

كانوا في أول الإسلام، كانت النساء تكشف عن وجوهها ويديها وأطرافها، وكان هذا مباحًا في أول الإسلام، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الْحِجَابَ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى الْمُؤْمِنَاتِ عَمُومًا فَنَسَخَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ مِنْ إِبْدَاءِ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَزِمَ الْحِجَابَ، وَهُوَ أَنْ تَغْطِيَ الْمَرْأَةُ جَمِيعَ جَسَمِهَا عَنِ الرِّجَالِ بِمَا فِي ذَلِكَ وَجْهَهَا وَكَفَّاهَا وَقَدَمَاهَا؛ لِأَنَّهَا عَوْرَةٌ وَفِتْنَةٌ، فَلَأَجَلَ قَطَعَ دَابِرَ الْجَرِيمَةِ، وَسَدَ الذَّرِيعَةَ الْمَفْضِيَّةَ إِلَى الْحَرَامِ أَمْرًا بِالْحِجَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾.

فبدأ بنساء النبي ﷺ وبَنَاتِهِ، وَأَمْرَهُنَّ بِالْحِجَابِ لِأَنَّهُنَّ أَوْلَى النِّسَاءِ بِالْحِجَابِ، ثُمَّ أَمْرَ بَقِيَةِ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ الْجِلْبَابُ: هُوَ الْجَلَالُ الْكَبِيرُ، أَوِ الْغَطَاءُ، أَوِ الْعِبَاءَةُ، أَوِ الْمَلَاءَةُ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ ثِيَابِ الْمَرْأَةِ لِأَجْلِ أَنْ تُخْفِيَ بَدْنَهَا، فَتَسْتَرِ بَدْنَهَا بِالثِّيَابِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَسْتَرِ الثِّيَابَ بِالْحِجَابِ؛ لِأَنَّ الثِّيَابَ، قَدْ يَكُونُ فِيهَا زِينَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الثَّوْبِ نَقْصٌ أَوْ قُصُورٌ عَنِ الْكَفِّينِ أَوْ

الرجلين ، فالْحِجَاب يغطي ما يظهر ويغطي الزينة التي في ثيابها ، أو على كفيها من الحُلي ، فالْجِلْبَاب فيه احتياط .

وقد جاء في تفسير ﴿يُذْنِبُ﴾ بأنها تغطي وجهها بطرف ثوبها عن الرجال ، هكذا جاء في التفسير الصحيح لهذه الآية أنها تغطي وجهها ، وفي هذا رد على الذين يقولون : إن إبراز الوجه ليس فيه شيء ، ونقول : إن إبراز وجه المرأة عند الرجال حرام بعدما نزلت آية الحِجَاب ؛ فليس لأي امرأة من نساء المؤمنين أن تُبدي وجهها عند الرجال الذين ليسوا من محارمها ؛ وإنما كان هذا قبل فرض الحِجَاب .

أما لما فرض الحِجَاب لزم جميع المؤمنات أن يسترن وجوههن وهو معنى : ﴿يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ﴾ فالْجِلْبَاب يكون على البدن على رأسها إلى قدميها ، وتدني منه على وجهها حتّى تكون مغطاة بالكامل عن الرجال .

والوجه هو محل الفتنة ، ومحل الجمال ، ومحط الأنظار ، فكيف يجب على المرأة أن تغطي قدميها عند الجميع ، ولا تغطي وجهها ، فأيهما أشد فتنة ؟ القدمان أو الوجه ؟ ! الوجه أشد .

﴿ذَلِكَ أَدْقُ أَنْ يُعْرَفَنَّ﴾ أن تعرف أنها امرأة صيّنة ، وأنها حيية وشريفة فلا يطمع فيها الفساق ، أما إذا رأى الفساق المرأة المتهتكة السافرة ، فإنهم يطمعون فيها ، أما إذا رأوا المرأة المحجبة المتسترة فإنهم يحترمونها ويتبعدون عنها .

﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ أي : لا يعرض لهن الفساق والسفهاء ، أما إذا أبدت

وجهها وكفيها، وأطرافها، فإن أهل الفسق يطمعون فيها، ويقولون: ما أبدت وجهها وكفيها إلا لأنها لا تبالي، فيتعلقون بها، ويقبلون على أذيتها.

فهذا فيه بيان الحكمة من الحجاب أنه يمنع النظر إليها، وأنه يكسبها احترامًا وإجلالًا عند الناس؛ فالمرأة المحجبة لها قدرها وقيمتها ومكانتها، أما المرأة المتهتكة والسافرة فإنها تكون لا قيمة لها عند الناس فلا قيمة لها عند أهل الخير، ويطمع فيها أهل الشر والعياذ بالله. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ عما مضى قبل فرض الحجاب؛ لكن بعد فرض الحجاب لا يجوز للمرأة أن تعود إلى السفور.

﴿رَجِيمًا﴾ حيث لم يؤاخذها على ما مضى، فهذا أبلغ رد على هؤلاء الذين آذوا الناس، وهم أحق بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. أحق بالوعيد.

الذين يؤذون الناس اليوم، ويشغبون في أمر الحجاب، ويدعون إلى السفور هؤلاء أولى بهذا الوعيد، نسأل الله العافية.

ثم قال -جل وعلا-: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. المنافقون: هم الذين يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، هؤلاء هم المنافقون، الذي يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، هذا هو المنافق، وهو في الدرك الأسفل من النار - والعياذ بالله - لأنه يُخادع الله، ويُخادع المؤمنين؛ ولكنه في الحقيقة لا يخدع إلا نفسه.

﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ ينتهون عن ماذا؟ ينتهون عن أذية الله ورسوله، وأذية المؤمنين، وأذية المؤمنات في متابعتهم ودعوتهم إلى الفساد.

﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ المراد بالمنافقين: من يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، ويظهرون الخير، ويبطنون الشر.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: شهوة للحرام، فمرض القلب يكون بالشهوة وبالشبهة، فالقلب يمرض بالشبهات المتعلقة بالعقيدة، وبالشهوات المتعلقة بالأخلاق والأفعال من فعل الفواحش، وشرب المسكرات، وأكل الربا، وأكل الحرام، كل هذا من الشهوات المحرمة، فالمرض يشمل مرض الشبهة، ومرض الشهوة، والعياذ بالله.

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هم الذين يخوفون المؤمنين دائماً، همهم التخويف والإرجاف، كلما يحدث حادثة، أو يسمعون بخبر سيئ فإنهم ينشرونه على الناس ليرعبوا المسلمين، ويخيفوا المسلمين.

والواجب على المسلم: ألا ينشر الأخبار التي فيها ترويع للمسلمين، بل إذا علم شيئاً من ذلك فإنه يتثبت أولاً فربما يكون الخبر كذباً، فإذا ثبت لديه، فإنه يكتمه، ولا يُخبر عنه؛ لأنه يروع المسلمين؛ لكن قد يُخبر ولاية الأمور لأجل أن يُعالجوه.

أما عامة الناس والذين ليس لهم دخل في معالجة الأمور فلا يُخبرهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ

أَذَاعُوا بِهِ ۖ ﴿٦٥﴾ هذا من باب الظم، يعني: نشره.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فالذين يروعون الناس، وينشرون الشائعات والأكاذيب لأجل أن يحصل في الناس خوف ورعب وقلق ويُخلُّون بالأمن، لئن لم ينتهوا عن هذا العمل، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنامرنك بمعاقتهم، ونسلطنك عليهم، ونمكنك منهم؛ هذا تهديد لهم.

﴿ثُمَّ لَا يَجَارِئُوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]. يتركون البلد خوفاً من العقوبة، ويُخلونها إذا عرفوا أنَّهم سيعاقبون، فإنَّهم يفرون من البلد، فيستريح المسلمون من شرهم.

﴿مَلْعُونَاتٌ﴾ يعني: مطرودين من رحمة الله ﷻ: ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ في أي مكان وجدوا فقد لا حققتهم لعنة الله ﷻ؛ لأنَّهم آذوا المسلمين، وأرجفوا، ونشروا الشر، ومرض الشبهة والشهوة.

فالذين يروجون الآن في الصحف والمجلات والكتابات يروجون أفكار الكفار ودعوات الكفار، ويطلبون من المسلمين التنازل عن دينهم، ويهددون المسلمين إذا لم يتنازلوا عن دينهم أن الكفار سيتغلبون عليهم، وسيحصل كذا وكذا...

يرهبون الناس، هؤلاء هم المرجفون في الأرض حكمهم سواء ﴿أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخْذُوا وَقْتِكُمْ وَقْتًا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]. تلاحقهم اللعنة، ويلاحقهم الخوف، بدل ما خوفوا المسلمين أنزل الله بهم الخوف

فلا يأمنون في أي مكان، والعياذ بالله .

دائمًا يخافون من القتل، وأن ولاية المسلمين يلاحقونهم لينفذوا فيهم أمر الله ﷻ فهذا وعيد شديد لهؤلاء .

ثُمَّ قَالَ -جل وعلا- : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٦٢] . هذه سنة الله في كل من فعل هذا الفعل في الأولين والآخرين ؛ أنهم يسلط عليهم أهل الإيمان ، ويُمكنهم الله منهم فيلاحقونهم في أي مكان ويذيقونهم أشد العقوبات ، والسنة هي الطريقة ، فهذه طريقة الله -جل وعلا- في عباده ؛ لأن الله لا يترك أهل الشر يعيشون في الأرض فسادًا ، وينشرون الرعب والتخويف والإشاعات الباطلة ، لا يتركهم الله -جل وعلا- لا في الأولين ولا في الآخرين .

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْسُّنَّةِ أَلَلًا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] . فهي ماضية لا تتغير في الأولين والآخرين ، فلا يقال : إن هذا شيء مضى في الأمم السابقة ؛ بل هو يحصل لهم أيضًا إلى أن تقوم الساعة ؛ لأن الله يحمي دينه وأوليائه وعباده المؤمنين ، يحميهم من هؤلاء .

ثُمَّ قَالَ -جل وعلا- : ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ يسألون الرسول ﷺ متى قيام الساعة ؟

الساعة لا بد أن تقوم ؛ لكن متى تقوم ، الله أخبرنا أن الساعة ستقوم ، من أجل أن نستعد لها ، أن نؤمن بها ، ونستعد لها ؛ لكن وقت قيامها ليس لنا مصلحة في معرفته ، ولذلك لم يُبينه الله لنا ، بل إنه

استأثر به في علمه ﷻ، وَلَمْ يَبِينْهُ لِمَلِكٍ مُّقْرَبٍ، ولا نبي مرسل، فلا أحد يعلم متى تقوم الساعة إلا الله - جل وعلا - .

فهذا من الأسئلة التي لا تجوز، ومن التكلف والتنطع؛ بل رُبَّما يكون من التكذيب؛ لأنَّهم لما أخبروا بالساعة قالوا: متى تقوم؟! هذا من باب التكذيب والاستبعاد، فهذا سؤال مرفوض، ولا حاجة للبشرية فيه .

ولهذا لَمْ يُجِبْهِمُ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]. علم قيامها لا يعلمه إلا الله، استأثر بعلمه، فلم يعلمه لا الملائكة، ولا الرسل، ولا أي أحد، ولهذا لما قال جبريل للنبي ﷺ: «أخبرني عن الساعة». قال: ما المَسْئُول عنها بأعلم من السائل»^(١).

والله - جل وعلا - يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [القمان: ٣٤].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ فَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤١) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٢)

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنِ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْ يَوْمَ يَرْوُفَهَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿النَّازِعَات: ٤٢-٤٦﴾ .

فالمطلوب منا ليس معرفة وقت قيام الساعة؛ بل المطلوب منا أن نستعد لقيام الساعة بالأعمال الصالحة، هذا هو المطلوب؛ ولذلك أمرنا الله بالمبادرة بالأعمال قبل قيامها فقال: ﴿وَمَا يَذُرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] . رُبَّمَا تكون قريبة ورُبَّمَا تكون بعيدة، ﴿وَإِنْ أَذْرَىٰ أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] .

المهم أنني بلغتكم، أما وقت حصوله فهذا إلى الله تعالى .

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦٤] . يعني: طردهم وأبعدهم من رحمة الله .

والكافر هو الذي أنكر وجود الله - جل وعلا -، وهو المُلحد الذي لا يؤمن بربه، أو الذي يعترف بالرب؛ ولكنه لا يفرد بالعبادة؛ بل يعبد معه غيره، ويستكبر عن عبادته وحده، فالكافر يشمل المُلحد الذي لا يقر برب، ويشمل المشرك الذي يقر بالرب؛ لكنه يعبد معه غيره .

فكل مشرك فهو كافر، وليس كل كافر يكون مشركًا؛ بل قد يكون ملحدًا لا يقر برب، والجميع لعنهم الله - جل وعلا - المُلحد والمُشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾ خَلِّينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥] . هذا وعيد من الله - جل وعلا - .

﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَّيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦] . عرفوا أنهم ما دخلوا النار إلا بمعصية الله ومعصية

الرسول فيتمنون أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول، أدركوا خطأهم وعرفوا تفريطهم؛ لكن لا ينفعهم الندم، لو كان هذا في الدنيا، إن الإنسان يندم، ويتوب إلى الله، ويرجع ويستغفر، فإن ذلك ينفعه، لكن عندما ينزل به الموت أو عندما يبعث يوم القيامة ويرى العذاب، فإنه لا ينفعه هذا التندم، وهذا التأسف؛ بل هذا زيادة عذاب له، والعياذ بالله.

وقولهم: ﴿بَلَّيْنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾ دليل على أنه لا نجاة في الآخرة، ولا نجاة من النار إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ولكنهم بدل أن يطيعوا الله ورسوله أطاعوا ساداتهم وكبراءهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. عرفوا أنهم ما صاروا إلى هذه العاقبة الوخيمة إلا بسبب أنهم أطاعوا ساداتهم وكبراءهم في معصية الله.

ولهذا قال النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «إنما الطاعة في المعروف»^(٢).

فلا تجوز طاعة السادة، وهم الرؤساء والكبراء كرئيس القبيلة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٠٦٧٢)، والبخاري في شرح السنة برقم (٢٤٥٥) من حديث النّوّاس ابن سَمْعَانَ رضي الله عنه، وانظر: مَجْمَعُ الزَّوَادِ لِلْهَيْثَمِيِّ (٢٢٥/٥) وما بعدها.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٣٤٠)، ومسلم في صحيحه برقم (٤٧٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر: صحيح البخاري رقم (٢٩٥٥، ٢٩٥٧).

ورئيس الدولة، وقيم البيت، وكل كبير في محيطه لا تجوز طاعته،
لا الرئيس، ولا الكبير إلا إذا لم يأمر بمعصية الله.

﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ لماذا؟

لأنهم تركوا طاعة الله ورسوله، وأطاعوا بدل ذلك السادة والكبراء
فضلوا، والعياذ بالله، فدل على أن الهداية تكون بطاعة الله، وطاعة
رسوله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] وأن طاعة غير
الله وطاعة غير الرسول ضلال والعياذ بالله.

فهذا مما يؤكد على المسلم أن يلزم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛
ويتجنب البدع والشرك والخرافات؛ لأنه سيكون مصيره يوم القيامة
مثل مصير هؤلاء، إذا أطاع غير الله وغير الرسول في معصية الله
سيكون هذا ماله يوم القيامة، ثم دعوا عليهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنِ
مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنَا كَبِيرًا﴾ [الاحزاب: ٦٨].

يتبرءون منهم يوم القيامة، يتبرأ المتبوع من التابع: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

ويتلاعنون يوم القيامة: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَانَا مَوَدَّةَ
بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنُ
بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [المنكوت: ٢٥]. نسأل الله العافية.

ويقولون: ﴿لَوْلَا آتَمْتُمْ لَنَا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبا: ٣١].

ويقول الكبراء: ﴿أَتَقْنُ صِدْقَكُمْ عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
تُجْرِمِينَ﴾ [سبا: ٣٢]. يتلومون يوم القيامة.

وَحَتَّىٰ إِبْلِيسَ الَّذِيٰ أَغْوَىٰ الْجَمِيعَ يَقُولُ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يتبرأ منهم ويوبخهم ويقول : أنا لم أجبركم ، أنتم الذين أطعتموني اختياراً منكم .

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ أنتم لا تقدرُونَ على إنقاذي ممَّا أنا فيه ، وأنا لا أقدر على إنقاذكم ممَّا أنتم فيه : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَتْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم : ٢٢] . هكذا مآلهم يوم القيامة .

أما أهل الإيمان ، فإن مودتهم دائمة في الدنيا والآخرة فالمحبة في الله تبقى ، قال تعالى : ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

فالمحبة الإيمانية تبقى ، يقول الله تعالى عن أهل الجنة : ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] . دل على أنها تبقى المحبة في الله ﷻ في الدنيا والآخرة ، أما المحبة في غير الله ، فإنها تكون حسرة وندامة يوم القيامة .

ثُمَّ قَالَ - جَل وَعَلَا - : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكَوْنُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب : ٦٩] . والمعنى : لا تؤذوا نبيكم مُحَمَّدًا ﷺ فتكونوا كالذين آذوا موسى ﷺ من بني إسرائيل ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ ؛ حيث نسبوا إلى موسى ﷺ أن فيه عيباً في خلقته ، فالله يبين أن موسى ﷺ من أكمل الناس خلقاً وخلقاً ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ له مكانة عظيمة - عليه الصلاة والسلام - .

فلا تكونوا مثل بني إسرائيل مع نبيهم، احترموا نبيكم وعظموه ووقروه في حدود الشرع، أما الغلو فلا يجوز أن يُغلا في حق الرسول ﷺ.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم -أي: لا تغلوا في مدحي وترفعوني فوق منزلتي- إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

فالرسول يوقر ويعظم ويُجل لكن من غير غلو وإفراط كما حصل من النصارى، وكما يحصل من المبتدعة الآن في حق الرسول ﷺ حيث إنهم يستغيثون به ﷺ، ويقيمون له احتفال المولد على مدار السنة، ويزعمون أنه يحضر عندهم، وأنه... وأنه... هذا من الغلو -والعياذ بالله-، ومن البدع المضلة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا من أذية الرسول ﷺ؛ لأنك إذا عصيت الرسول ﷺ فقد آذيته، والرسول نهاك عن البدعة فأنت تفعل البدعة، فمعنى هذا: أنك تؤذي الرسول ﷺ، وإن كنت تزعم أنك توقره وتُجله بهذه البدعة.

ثم قال -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بتقواه بفعل أو أمره وترك نواهيه عموماً. ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: هذا فيه وجوب

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٦٨٣٠) وبرقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حفظ اللسان من الكلام الباطل والمُحرم.

وَأَلَّا يَقُولَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا فِيهِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وتعليم العلم النافع والكلام الطيب الذي يشرح
الصدور، ويؤلف بين القلوب.

ثُمَّ ذَكَرَ نَتَائِجَ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١]. هذه نتيجة القول السديد، أنه يحصل به إصلاح
الأعمال كما قال -جل وعلا-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
[الأحزاب: ٧١].

هذا فيه الحث على طاعة الله وطاعة رسوله، وأنه هو الذي يحصل
به الفوز، وهو النجاة من العذاب، أما الذين أطاعوا السادة والكبراء
فإنهم تقلب وجوههم في النار ويلعنون ساداتهم وكبراءهم الذين
أضلّوهم عن سبيل الله، ويدعون عليهم بمضاعفة العذاب، نسأل الله
العافية.

فالذين أطاعوا السادة والكبراء في معصية الله يكون هذا ما لهم،
والذين أطاعوا الله ورسوله هذا ما لهم.

ثُمَّ قَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
[الأحزاب: ٧٢].

الأمانة هي: التكاليف الشرعية، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله فيما أمرا ونهيا، هذه أمانة فالدين كله أمانة، وقد عرض الله هذه الأمانة على السموات والأرض عرض تخيير لا عرض إلزام فأثرت السلامة.

﴿فَأَيُّكُمْ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خوفا من تبعتها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم وذريته طمعا في الثواب، فآدم وذريته آثروا الطمع في المغفرة والرحمة فتحملوا الأمانة، والسموات والأرض والجبال أثرت العافية وخافت ألا تقوم بهذه الأمانة.

فدل على عظم الشرع والتكاليف الشرعية، وأنها أمانة عظيمة بين العبد وبين ربه ﷻ.

ووصف جنس الإنسان بأنه كان ظلوما جهولا، أما أفراد الإنسان فففيهم وفيهم.

* ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ انْقِسَامَ النَّاسِ نَحْوَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ بَعْدَمَا تَحْمِلُوهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

* القسم الأول: الذين تَحْمِلُوهَا فِي الظَّاهِرِ وَضَعُوهَا فِي الْبَاطِنِ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ، وَقَالَ: ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ [الاحزاب: ٧٣]. لِأَنَّهُمْ تَحْمِلُوا هَذِهِ الْأَمَانَةَ فِي الظَّاهِرِ، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا؛ لَكِنَّهُمْ بَقُوا عَلَى الْكُفْرِ فِي بَاطِنِهِمْ فَلَمْ يَتَحْمِلُوا بِاطْنًا.

* الصنف الثاني: الذين ضيعوا الأمانة، ورفضوها ظاهرا وباطنا من بني آدم، وهم المشركون والمشركات.

* الصنف الثالث: الذين تَحْمِلُوا الْأَمَانَةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَهُمْ

المؤمنون والمؤمنات، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣].

ودلت الآيات على أن النساء يكون فيهن منافقات ومشركات ومؤمنات مثل الرجال، وأنهم في الجزاء سواء.

ختام سورة الأحزاب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

السؤال الأول: ما توجيه فضيلتكم لأولياء أمور بعض النساء اللاتي تساهلن في أمر الحجاب، وتفنن في إظهار مفاتهن للرجال الأجانب في الأسواق وغيرها، وما دور ولي المرأة في حفظ دينها؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. فالرجال حملهم الله القيام على النساء ومراعاتهن وأمرهن بطاعة الله، ومنعهن من معصية الله ﷻ، ومن ذلك الحجاب.

فالحجاب أمر من الله - جل وعلا - فيجب على ولي الأمر أن يلزمها به سواء كان ولي أمرها المباشر كأبيها، أو ابنها، أو أخيها أو من له ولاية عليها، أو ولي الأمر العام، وهو سلطان المسلمين فيلزم نساء المسلمين بالحجاب.

فولي أمر المسلمين يلزم نساء دولته بالحجاب عموماً، والقائمون على البيوت يلزمون النساء اللاتي في بيوتهم بالحجاب، وهم مسئولون عن هؤلاء النسوة، ولو علمت النسوة أن ولي أمرها العام وولي أمرها الخاص سيلزمها بطاعة الله وترك معصيته؛ لانكفت عن هذه الأمور.

لكن لما تساهل ولاية الأمور في هذا الشيء تجرأت النساء ومن

ورائهن دعاة السوء والفسق والنفاق يُحرضونهن على السفور، وخلع الحجاب .

فالمسألة الآن خطيرة يجب على ولاية أمور النساء الولاية العامون والولاية الخاصون يجب عليهم جميعاً أن يتضافروا ويتعاونوا في إلزام النساء بالحجاب، ويجب على ولاية الأمور - وفقهم الله - أن يقطعوا السنة دعاة السوء، ودعاة الشر الذين ينادون بالسفور وخلع الحجاب هذا مما حَمَلَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

السؤال الثاني: كثر في هذه الأيام الكلام عن حكم تغطية المرأة وجهها، فهناك من النساء من يحتج ببعض أقوال العلماء القائلين بجواز السفور، ووضع العباءة على الكتفين قائلاً بأن هذا فيه خلاف .

والسؤال: هل يعد الخلاف في كل مسألة يعد مسوغاً للأخذ بقول أي عالم، وما حكم لبس العباءة الفرنسية؟

الجواب: لا يحتج بالخلاف إلا أهل الأهواء، الذين يحبون أن يتبعوا أهواءهم، أما الذي يخاف الله فلا يحتج بالخلاف؛ وإنما يحتج بالدليل، فالخلاف موجود، وما من مسألة - تقريباً - من مسائل الفقه إلا وفيها خلاف؛ ولذلك الله - جل وعلا - أمرنا أن نرجع للكتاب والسنة، فقال: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَرَوْهُ فَقَرُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَلْيُورَ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] .

فالخلاف موجود ولا يجوز أن نأخذ من الأقوال ما يوافق أهواءنا ورغباتنا، ونترك الذي يدل عليه الدليل لأنه يخالف أهواءنا،

هذا لا يجوز.

فالواجب: أن نأخذ من الأقوال ما يوافق الدليل من الكتاب والسنة، في الحجاب وغيره، وقد عرفتم أن الأدلة قامت على وجوب الحجاب، وأنه آخر الأمرين ممّا نزل على الرسول ﷺ، وأن الله فرض الحجاب على زوجاته، وعلى بناته، وعلى نساء المؤمنين.

فكيف يأتي من يقول: نساء المؤمنين ليس عليهن حجاب؛ وإنما الحجاب خاص بأزواج النبي ﷺ؟! هذا والله يقول: ﴿وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

يأتي جاهل ويقول: نساء المؤمنين ليس عليهن حجاب؟! هل يقول هذا عاقل؛ لا يقوله إلا مغرض وصاحب هوى.

وأما العباءة فهي لا تلبس للزينة؛ بل تلبس لستر زينة البدن والثياب، تتجمل بها فوق الثياب من رأسها إلى قدميها.

فهي لا تلبس للزينة؛ لكن لستر الزينة، والعباءة الفرنسية أو غيرها إذا كانت لا تستر الزينة؛ وإنما تلبس للزينة فهي حرام، ولا تجوز أبداً.

ولا تلبس العباءة على الكتفين، فمن الذي قال إنها تلبس على الكتفين؟! فالعباءة مثل الجلباب توضع على الرأس وتنزل إلى القدمين؛ لأن المطلوب أن تستر الرأس والعنق وسائر البدن.

السؤال الثالث: يتردد هذه الأيام عبر وسائل الإعلام مصطلح:

«تجديد الخطاب الديني» فهل لهذا المصطلح أصل في الشريعة؟

الجواب: هذا من أقوال المُتافقين ودعاة الضلال، هل تُغَيَّر الآيات والأحاديث التي تنهى عن موالاة الكفار، وتأمّر ببغضهم وعداوتهم، هل تُغَيَّر ويقال: تطفوا قولوا إخواننا في الإنسانية وكذا ولا تقولوا: الكفار؛ بل قولوا: غير المسلمين وغير الخطاب الديني، ويغير كلام الله وكلام رسوله ﷺ لإرضاء الناس؟!!

الخطاب الديني المراد به: ما أنزله الله على رسوله من الكتاب والسنة، وهذا لا يُغَيَّر، أما تخاطب الناس فيما بينهم بما لا يعارض الكتاب والسنة فلا يقال له: خطاب ديني، فالإنسان يُخطئ ويصيب. أما خطاب الله وخطاب رسوله فهو حق لا خطأ فيه أبداً ولا يُغَيَّر.

السؤال الرابع: سَمِعْنَا من ينادي بتقنين الشريعة فما حكم هذا الرأي؟

الجواب: الشريعة لا يُمكن أن تقنن؛ لأن الشريعة واسعة، ولا يُمكن أن تقنن، فالشريعة ليست كلام العلماء والفقهاء؛ وإنما الشريعة هي الكتاب والسنة هذه هي الشريعة، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال: ﴿لِتَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. فالشريعة هي القرآن والسنة، ولا يُمكن تقنينها أبداً، وهي مفصلة من عند الله ﷻ، ومن تبين الرسول ﷺ، وقد صنفها العلماء في كتب وأبواب ومسائل.

السؤال الخامس: ما حكم التعامل مع الشيعة، وهل يجوز إطلاق الشيعة عليهم أم نقول: الرافضة؟ وخاصة أنهم يعملون معنا في الوظائف

الحكومية، وهل يجوز السلام عليهم؟

الجواب: الشيعة الآن اسم عام لكل من ينتسبون لأهل البيت، ويتبرءون من غيرهم، وهم طوائف وفرق وأحزاب - والعياذ بالله -.

فالمؤمن يتولى المؤمنين عموماً، أهل البيت وغيرهم، فلا يتولى أهل البيت ويعادي غير أهل البيت كما تقوله الشيعة بل المؤمن يتولى جميع المؤمنين وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ، هذا هو المؤمن: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِعُونَ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ﴾ [النائدة: ٥٥-٥٦].

فنحن نتولى المؤمنين من أهل البيت لكن لا نعادي بقية المؤمنين؛ بل نتولى جميع إخوانهم من المسلمين لا نفرق بينهم.

والرافضة طائفة من الشيعة يقال لهم: الجعفرية والإمامية والموسوية... كلها أسماء لطائفة واحدة، ووجودهم في الوظائف وغيرها نتعامل معهم في أمور الدنيا والمعاملات المباحة.

أما أمور الدين فنحن نمشي على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن جاءوا معنا فالحمد لله، وإن خالفونا تركناهم وخالفناهم، إذا سلموا ترد عليهم.

السؤال السادس: ما القول الراجح في قبول توبة ساب الرسول ﷺ؟ وهل يُقتل وإن تاب؟

الجواب: التوبة لا أحد يمنعها فالله يتوب على من تاب، لكن لا بد

من إقامة الحد عليه فلا بد من قتله حدًّا ، وإذا تاب فيما بينه وبين الله ، فالله أعلم به ، هذا إلى الله ﷻ لكن نحن نقيم عليه الحد .

السؤال السابع : ما رأيكم فيمن يقول بجواز التبرك بآثار النبي ﷺ ويستدل بتبرك ابن عمر رضي الله عنهما ؟

الجواب : هذا غلط ، الرسول ﷺ ما بقي له آثار بعد وفاته ، فليست الحُجرة النبوية والتراب والأرض التي جلس فيها آثارًا للرسول ﷺ ؛ وإنما آثاره ما انفصل من جسده - عليه الصلاة والسلام - من عرق ، وريق ، أو شعر ، أو ثياب ، هذه آثار الرسول ﷺ وهذه انتهت بوفاته ﷺ .
وأما الآثار التي يزعمونها من المنازل والمجالس أو هذه ليست بآثار الرسول ﷺ ، هذه أجزاء من الأرض مشى عليها الرسول ﷺ ومشى عليها غيره ، مشى عليها أبو جهل وأبو لهب ، مشى عليها المؤمن والكافر . . .

فالآثار الأرضية لا قيمة لها ؛ وإنما العبرة بالآثار المنفصلة من جسده - عليه الصلاة والسلام - وهي التي كان الصحابة يتبركون بها ويقرهم النبي ﷺ على ذلك ، ولم يكونوا يتبركون بمواضع نزوله .
وفعل ابن عمر رضي الله عنهما اجتهاد منه ثم يوافقه عليه صحابة رسول الله ﷺ ممن هم أفضل منه - رضي الله عن الجميع - .

السؤال الثامن : صليت خلف إمام في مسجد على أطراف المدينة في جماعة ثانية ، أدركت معه ركعة من صلاة العصر ، ثم أتممت ركعة ثانية ثم سلمت ، السؤال : هل أنا مصيب أم أصلي أربع ركعات مقيمًا ؟

الجواب : إذا كان الإمام يتم الصلاة ، فإنه يجب عليك الإتمام ، فأنت أخطأت وعليك أن تقضي الصلاة ؛ لأن من صلى خلف من يتم الصلاة يلزمه الإتمام .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « تلك السنة »^(١) .

السؤال التاسع : أحياناً يخرج مني قطرة من البول - أعزكم الله - بعدما أقضي حاجتي ، فأخذت ألف منديلًا حول الموضع فأحياناً يخرج قطرة ، وأحياناً لا يخرج ، السؤال : إذا لقيت هذا المنديل ... ثم جئت لأتوضأ للصلاة الثانية هل أغسل فرجي أم أتوضأ مباشرة ؟

الجواب : يا أخي لف المنديل لا يكفي فلا تستعجل بالوضوء حتى ينقطع البول ، ويتنشف الذكر ، ثم تستنجي ثم تتوضأ ، أما أن تلف المنديل والبول ينزل فهذا لا يكفي ، ولا تطهر ، هذا إذا كان فعلاً ينزل البول .

أما إذا كان من باب الوسواس والهواجس فهذا اتركه ، ولا تلتفت إليه .

السؤال العاشر : عندي جار حريص على الصلاة ؛ ولكنه يأخذ من لحيته كثيراً ، وعندما ناصحته وذكرت له الأدلة التي تدل على إعفاء اللحية ، قال لي : إنه بحث المسألة ، ولم يجد في الأخذ منها وعيد من الله بالعذاب مثل : الإسهال ، والنميمة ، والغيبة ، وغير ذلك .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٨٦٢) بلفظ : « تلك سنة أبي القاسم ﷺ » .

فترجو من فضيلتكم التكرم بتوضيح المسألة حتى أتمكن من نصحه
مأجورين ... والله يحفظكم؟

الجواب: ألم يجد هذا أن الله قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]؟!

ألم يجد هذا أن الرسول ﷺ كان يعفي لحيته، ولا يأخذ منها،
ويأمر بإرسالها وإرخائها وإكرامها وتوفيرها، ولم يبح الأخذ منها
!؟...

كان ﷺ ذا لحية كثيفة، وكان لا يأخذ منها؛ بل أمر بتوفيرها.
وأما قوله: لَمْ يَجِدْ عَيْدًا عَلَى الْآخِذِ مِنَ الْحَيَةِ مِثْلَ الْوَعِيدِ الْوَاردِ
عَلَى الْإِسْبَالِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، فنقول له: الرسول ﷺ أمر بتوفير
اللحية، وفي قصتها مخالفة لأمره ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
[الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

السؤال الحادي عشر: عندي هواية الرسم، وكنت أرسم لوحات
فيها ذوات أرواح فهل علي شيء في ذلك؟!

وأيضًا يقول: أنا أرسم لوحات تعليمية للمدارس فيها ذوات أرواح
فهل يلزمني توبة، وإذا كانت هناك توبة فإنني أشهد الله أنني تبت وبرئت

إليه ممّا عملت جوارحي .

الجواب : نعم ، النبي ﷺ لعن المصّورين وأخبر أنّهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، وأنّهم يُجعل لهم بكل صورة صوروها نفس يعذبون بها في جهنم ، وأنّها تُحضر الصور التي صوروها في الدنيا ، ويقول لهم : أحيوا ما خلقتهم ، أمر تعجز ، والعاذ بالله ؛ لأنه لا يملك الحياة إلا الله - جل وعلا - ، فالوعيد شديد في هذا .

والحمد لله أنك تبت إلى الله ، ولا تعد لمثل هذا ، ولا ترسم ذوات الأرواح ، لا في التعليم ، ولا في غيره ، ما زال المسلمون يتعلمون من عهد النبي ﷺ بدون تصوير ، وهم أعلم منا ، وأكثر منا تعلماً وأحذق منا ، وما تعلموا بالتصوير .

السؤال الثاني عشر : هل يجوز لي أن أدخل كتاب الإنجليزي إلى المسجد مع أن فيه صوراً وذلك للمذاكرة؟

الجواب : المسجد لا يليق أن يدخل فيه صور ، إذا كان البيت لا تدخله الملائكة إذا كان فيه صورة فكيف بالمسجد ، وليس لازماً أن تذاكر في المسجد .

السؤال الثالث عشر : هل يدخل في التصوير المنهي عنه الفيديو وأفلام الأطفال خصوصاً ما يأتي في قناة المجد ، وصورة فيه روح بدون رأسه؟

الجواب : يا إخوان . . . الأحاديث عامة في تحريم التصوير بأي شكل كان بالفيديو ؛ وفي لوحات ، وأوراق في رسوم . . . الرسول ﷺ

لَمْ يُخَصَّصْ بِلِ عَنِ الْمَصُورِينَ عَمُومًا ، وَأَخْبِرَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ^(١) ، لَمْ يُخَصَّصْ الْفِيدُو لَا لِلْأَطْفَالِ وَلَا لِغَيْرِهِمْ .

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ : أَنْ يَتَجَنَّبُوا الصُّورَ ، وَيَتَعَدَّوْا عَنْهَا لَثَلًا يَدْخُلُوا فِي الْوَعِيدِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ حَاجَةٌ وَلَا ضَرُورَةٌ إِلَى الصُّورِ .

السُّؤَالُ الرَّابِعُ عَشَرَ : كَثُرَ الْحَدِيثُ هَذِهِ الْأَيَّامَ^(٢) حَوْلَ مَا قَامَ بِهِ بَعْضُ أَعْدَاءِ هَذَا الدِّينِ مِنْ إِهَانَةٍ لِلْمَصَاحِفِ ، وَقَدْ أُرْسِلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ رَسْمًا جَاءَ فِي مَفْكَرَةِ الْإِسْلَامِ بِرَسْمِ بَعْضِ الْأَمْرِيكَانِ عَلَى بَعْضِ الْمَصَاحِفِ فِي الْعِرَاقِ الصُّلْبَانِ وَوَضَعَهَا حَتَّى فِي الْمَسَاجِدِ ، فَنَأْمَلُ مِنَ الشَّيْخِ التَّوْجِيهِ حَوْلَ مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ مِنْ إِهَانَةٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ الْمَشِينِ ؟

الْجَوَابُ : أَنْتُمْ تَأْمَلُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنْ يَحْتَرِمُوا الْمُصْحَفَ ؟ ! لَا يَحْتَرِمُونَ الْمُصْحَفَ ، وَأَشَدُّ مَا يَبْغِضُونَ الْمُصْحَفَ ، وَيَبْغِضُونَ الرَّسُولَ ﷺ أَشَدُّ مِنْ بَغْضِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ ، فَلَا تَسْتَبْعِدُوا عَلَيْهِمْ هَذَا الشَّيْءَ ؛ لَكِنْ يَسْتَغْرِبُ مِنَّا نَحْنُ أَنْ نَتَّقِي بِهِمْ ، وَنُحَسِّنَ الظَّنَّ بِهِمْ ، وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا ، وَأَعْدَاءُ رَبِّنَا وَنَبِيِّنَا وَكِتَابِنَا .

فَيَنْبَغِي أَنْ نَأْخُذَ الْحَذَرَ مِنْهُمْ ، وَأَنْ نَبْغِضَهُمْ وَنَعَادِيهِمْ فِي اللَّهِ ، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا .

(١) انظر : صحيح الإمام البخاري رقم (٥٩٦٢) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه ، ورقم (٥٩٥٠ ، ٥٩٥٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ١٤٢٦ هـ / ١٠ / ٤ . وقت ورود السؤال .

السؤال الخامس عشر: ما حكم الانتماء والانتساب للأحزاب السياسية التي تلبس ثوب الدين وهي أبعد ما تكون عنه؟

الجواب: الله - جل وعلا - أمرنا أن نتبع الكتاب والسنة، ونتبع الرسول ﷺ وأصحابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأخبر عن أمته أنها «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١).

فالواجب على المسلم: أن يلزم سنة الرسول ﷺ، وأن يكون مع المؤمنين، ويكون مع جماعة المسلمين، ويترك الجماعات الأخرى والفرق الأخرى المخالفة، ويكون مع حزب الله، ولا يكون مع الأحزاب المتفرقة التي قال الله فيها: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

يكون مع حزب الله: ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٥٩٦)، ورواه الترمذي في سننه برقم (٢٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، ورواه غيرهم.

[المُجادلة: ٢٢]. ليس لنا إلا حزب واحد وجماعة واحدة، ولسنا جماعات؛ فالمؤمنون جماعة واحدة: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فليس في الإسلام جماعات؛ بل جماعة واحدة، هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية، هؤلاء هم الذين يجب أن نسير معهم، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنُكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالذي يريد النجاة يلزم جماعة أهل السنة والجماعة، وهي التي كانت على سنة الرسول ﷺ وأصحابه.

السؤال السادس عشر: ما حكم استخدام الدف في العرس؟

الجواب: لا بأس بذلك، قد أمر به الرسول ﷺ، أمر النساء بضرب الدف، لأجل إعلان النكاح^(١) فالنساء يُستحب لهن ضرب الدف في مُحيط النساء، وفيما بينهن، وبدون مكبر صوت، وبدون مسجلات؛ وإنما صوت مُجرد بين النساء هذا لا بأس به، وهو من إعلان النكاح وهو من السنة.

(١) انظر سنن الترمذي برقم (١٠٨٨)، وابن ماجه في سننه برقم (١٨٩٦) كلاهما من حديث مُحَمَّد بن حاطب الْجُمَحِي.

السؤال السابع عشر: ما حكم التطبيع والتعاون مع الرافضة الذين يُضمرون سبَّ وشتم الصحابة وأمّهات المؤمنين ولا يُعلنون ذلك؟

الجواب: نحن لا نوافقهم على مذهبهم، ولا نقرهم عليه، أما أننا نتعامل معهم في أمور الدنيا والأمور المُباحة كالبيع والشراء وغير ذلك فهذا أمر مباح معهم ومع غيرهم، حتّى مع الكفار، يباح للمسلمين أن يتعاملوا مع الكفار في المُعاملات المُباحة بالبيع والشراء واستيراد البضائع والأسلحة وغير ذلك ممّا يحتاجه المسلمون من البضائع، وغير ذلك لا بأس.

أما أننا نتعامل مع المُخالفين في أمور الدين، ونقرهم على ما هم عليه، ونرضى عنهم، فهذا لا يجوز لنا.

السؤال الثامن عشر: من هم المكارمة وما هي جهود الدولة معهم، وهل هم مسلمون؟ وماذا يجب علينا تجاههم؟

الجواب: المكارمة هم الإسماعيلية وهم طائفة من الشيعة يُسمون الشيعة الباطنية.

المصادر والمراجع

- ١ - سنن أبي داود للإمام أبي داود . دار الريان - دار الحديث القاهرة ١٤٠٨ هـ .
- ٢ - سنن الترمذي للإمام الترمذي . المكتبة الإسلامية - تركيا .
- ٣ - سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه . دار إحياء التراث العربي . تحقيق مُحمَّد فؤاد عبد الباقي .
- ٤ - شرح السنة للبغوي . المَكْتَب الإسلامي - ط ٣ - ١٤٠٣ هـ .
- ٥ - صحيح الإمام البخاري . دار السلام - الرياض ط ٢ - ١٤١٩ هـ .
- ٦ - صحيح الإمام مسلم . دار السلام - الرياض ط ١ - ١٤١٩ هـ .
- ٧ - مَجْمَع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي . دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ط ٣ - ١٤٠٢ هـ .
- ٨ - المُستدرك على الصحيحين للحاكم . دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ٩ - مسند الإمام أحمد . مؤسسة قرطبة - مصر - دار الراية - الرياض .

السحر والشعوذة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ .

كَمْ وَبَعْدُ :

فإن موضوع السحر والكلام عنه موضوع مهم جدًا لخطورته وخفائه
على كثير من الناس ؛ لكثرة وقوعه لما يُظن فيه من الفوائد أو ما فيه من
المنافع ؛ ولحرص شياطين الإنس وشياطين الجن على ترويجه وتسميته
أحيانًا بغير اسمه الصحيح .

من أجل ذلك يجب الاهتمام بمعرفة هذا المرض العضال وهذا
الداء الخطير ، فكما أن أطباء الأمة يجتهدون في معرفة أمراض
الأجسام ويعملون لها الأدوية والاحتياطات ؛ فإنه يجب على العلماء
الاهتمام بالأمراض التي تَمَسُّ العقيدة وتُمرض القلوب .

وأمراض العقائد أشد خطرًا من أمراض الأجسام ؛ لأن أمراض
الأجسام خطرُها مقصور على الحياة الدنيا ، وأما أمراض القلوب
وأمراض العقائد فإن خطرُها وأثرُها القبيح لا يقتصر على الدنيا ، بل

يَمتد إلى الدار الآخرة، والسحر من أخطر تلك الأمراض .

وهو في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه، سُمِّي سحرًا لخفائه، وأنه أمر لا يعرفه كثير من الناس ولا يرونه، وإنَّما هو أعمال شيطانية وأعمال مغطاة لا يعرفها إلا المَعْنِيون بها .

أما السحر في اصطلاح الفقهاء -علماء الشرع- : فهو عبارة عن رقى وعزائم وأدوية وأبخرة يستعملها المُشعوذون والدجالون مع استعانتهم بالشياطين .

ولا يُمكن للساحر أن يتعاطى السحر وأن يؤثر إلا إذا تعامل مع الشياطين وأشرك بالله ﷻ، فإذا أشرك بالله وكفر بالله؛ فإن الشياطين تتعاون معه للإضرار ببني آدم .

أما إذا لم يشرك بالله ولم يكفر بالله؛ فإن الشياطين لا تتعاون معه، ولذلك لا يكون الساحر إلا كافرًا ومشرِّكًا بالله ﷻ .

فالسحر إذن والشرك والكفر أمور متقاربة بعضها مقترن ببعض، لا ينفك بعضها عن بعض، فلا يكون هناك ساحر إلا وهو كافر مشرك بالله ﷻ؛ لأنه لا يكون هناك ساحر إلا وهو يتعامل مع الشياطين، والشياطين تخدمه وتعينه على الإضرار ببني آدم في مقابل كفره بالله، وفي مقابل تضليله للناس وإضراره بالناس .

والسحر داء قديم في الأمم، ذكره الله في قوم فرعون، وأن السحر عندهم كان معروفًا ومعتمدًا عليه في وقتهم، ولهذا لما جاءهم موسى - عليه الصلاة والسلام - برسالة الله سَمَوْه ساحرًا؛ إما من باب التمويه

على الناس، أو لا اعتقادهم أنه ساحر؛ لأنهم كانوا معنيين بالسحر، فيظنون أن كل من جاء بأشياء لا يعرفونها فهي من السحر، ولهذا ادعى فرعون وملاؤه أن ما جاء به موسى سحر، وأراد أن يقابل موسى بالسحر وجمع السحرة: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]. يعنون: موسى -عليه الصلاة والسلام-.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠] يستشيرهم.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ يعني: أنظره لا تستعجل.

﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يعني: هارون -عليه الصلاة والسلام-.

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١١]-

[١١٢].

فعمل بمشورتهم وجمع السحرة، وجاءوا بسحرهم، وطلبوا من موسى أن يبدأ هو بعرض ما معه أو يبدءون، فموسى ﷺ أمرهم أن يعرضوا ما عندهم، فعرضوا ما عندهم من السحر الذي أربى الناس ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. أربى الناس، فأمر الله موسى -عليه الصلاة والسلام- أن يلقي عصاه التي بيده، فألقاها فابتلعت كل ما عملوه من السحر، ابتلعتة واختفى فعند ذلك علم السحرة أن هذا ليس بسحر؛ لأنهم أهل مهنة وأهل معرفة بالسحر، فعرفوا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، وقرروا هذا.

فكانت هذه شهادة لموسى -عليه الصلاة والسلام- لأن ما جاء به ليس بسحر، وإنما هو من عند الله وآمنوا به وخروا سجداً لربهم ﷻ،

وتابوا إلى الله .

وعند ذلك اغتاز فرعون وأرغى وأزبد ولجأ إلى القوة والتهديد؛ لأن حجته بطلت وانتهى أمره إلى ما ذكره الله ﷻ من الهزيمة والاندحار والهلاك، ونصر الله موسى وأخاه ومن معهما من المؤمنين: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهَ السِّحْرِ إِنَّا اللَّهُ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيَحْقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكْلَمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢] .

وهكذا لا يمكن أن يتقابل باطل وحق إلا وينهزم الباطل دائماً وأبداً في كل زمان وفي كل مكان، ولا يمكن أن يتقابل السحر مع ما جاء به موسى -عليه الصلاة والسلام- لأن ما جاء به الأنبياء هو من عند الله ﷻ وهو حق، وما يأتي به السحرة فهو باطل، ولا يمكن أن الباطل يقوم في وجه الحق أبداً، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا مَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ [طه: ٦٩] .

﴿أَقْفِرُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧] .

الساحر مهزوم والسحر باطل، وأما من معه الحق والآيات من عند الله؛ فإنه منصور ومؤيد من الله ﷻ، ولذلك السحرة إذا قابلهم أهل العلم والإيمان اندحروا دائماً وأبداً، ولا يمكن أن يصمدوا أو أن يقفوا في وجه الحق ودعاة الحق .

ومن ثمَّ يجب على الدعاة وعلى العلماء وعلى أهل الإيمان يجب عليهم أن يقفوا في وجوه السحرة، وأن ينكروا عليهم، وأن يَمنعوا باطلهم، وأن يقيموا عليهم حد الله ﷻ؛ لرد غيهم وكفهم عن شرهم

وإراحة المسلمين منهم، هذا واجب المسلمين في كل زمان، ولا يجوز السكوت أبدًا عن السحرة والتساهل في شأنهم.

فالسحر عبارة - كما يقول الإمام الموفق ابن قدامة في كتابه الكافي - : عبارة عن رقى وعزائم^(١). يعني : يقرأونها. رقى شيطانية ليست رقى من القرآن، وإنما هي رقى شيطانية، كلمات غريبة وألفاظ مجهولة، رموز وطلاسم بينهم وبين الشياطين يقرأونها وينفثون، ثم يتعاون معهم الشياطين فيحصلون مقصودهم من ضعف الإيمان أو المغفلين أو من الجهلة.

تؤثر هذه الرقى وهذه العزائم وهذه الأبخرة وهذه الأدوية أو الحروف المقطعة ولا تؤثر هي بنفسها، وإنما هذا بسبب التعاون مع الشياطين، وبسبب الإشراف بالله ﷻ والكفر بالله ﷻ، فالله يعاقب من تعاطى هذا بأن يُجري على يديه شيئًا من الإضرار والمضار ابتلاء وامتحانًا كما قال تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. يعني : بإذنه الكوني، أي : قضائه وقدره، وليس المراد : إذنه الشرعي، فإنه سبحانه لم يشرع السحر ولم يأمر به شرعًا، وإنما هذا قضاء وقدر قدره الله ﷻ لحكمة أرادها من ابتلاء العباد واختبار العباد بتسليط بعضهم على بعض عقوبة.

* والسحر ينقسم إلى قسمين كما قرر أهل العلم :

- القسم الأول : سحر حقيقي يؤثر في الأبدان يُمرض، ويقتل،

(١) انظر : (٤/ ١٦٤).

وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ، أَوْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَبَاغِضِينَ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى
بِالصَّرْفِ وَالْعُطْفِ، فَهَذَا حَقِيقِي؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُمَرِّضُ وَيَقْتُلُ بِإِذْنِ
اللَّهِ ﷻ، وَيُفْسِدُ الْوُدَّ فِي الْقُلُوبِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ؛ فَهُوَ سِحْرُ
حَقِيقِي بِمَعْنَى: أَنَّهُ نَاتِجٌ عَنْ أَفْعَالٍ فَعَلَهَا السَّحَرَةُ.

- الْقِسْمُ الثَّانِي: سِحْرُ تَخْيِيلِي وَهُوَ مَا يُسَمَّى عِنْدَ النَّاسِ الْآنَ
بِالْقَمَرَةِ، وَهُوَ نَتِيجَةُ الشَّعْوَذَةِ بِأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ السَّاحِرُ أَشْيَاءَ وَإِشَارَاتٍ يُخَيِّلُ
إِلَى النَّاسِ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ وَلَيْسَتْ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا هِيَ شَيْءٌ تَخْيِيلِي عَلَى
الْأَبْصَارِ فَقَطْ بِسَبَبِ التَّعَاوُنِ مَعَ الشَّيَاطِينِ، مِنْ ذَلِكَ: مَا يَعْمَلُهُ السَّحَرَةُ
مِنْ أَعْمَالٍ غَرِيبَةٍ كَأَنَّهُ يَطْعُنُ نَفْسَهُ بِالسَّكِينِ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ، أَوْ يَتَلَعُّ النَّارَ
وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ، أَوْ يَمْشِي فِي النَّارِ وَلَا يَجِدُ حَرًّا؛ هَذَا فِي الظَّاهِرِ،
وَالْإِلا فِي الْبَاطِنِ هُوَ مَا مَشَى فِي النَّارِ، وَلَا طَعَنَ نَفْسَهُ، وَلَا أَدْخَلَ فِي
جَوْفِهِ نَارًا، يَكْذِبُ، وَإِنَّمَا يُخَيِّلُ إِلَى النَّاسِ هَذَا الشَّيْءَ وَقَمَرٌ عَلَى
أَبْصَارِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وَلِذَلِكَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ اسْتَعْمَلُوا هَذَا النُّوعَ مِنَ السَّحْرِ، وَهُوَ التَّخْيِيلُ
الَّذِي يُخَيِّلُ إِلَى النَّاسِ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهُوَ كَذِبٌ، جَاءُوا بِعَصِيٍّ يُخَيِّلُ إِلَى
مُوسَى مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى وَهِيَ لَا تَسْعَى، هِيَ عَصِيٌّ عَادِيَّةٌ، إِمَّا
أَنَّهُمْ جَعَلُوا فِيهَا مَوَادَّ خَفِيَّةٌ تُحَرِّكُهَا كَالزَّبَقِ، أَوْ أَنَّهُمْ أَلْقَوْا عَلَيْهَا شَيْئًا
مِنَ الْقَمَرَةِ، كَمَا يَأْتِيكَ السَّاحِرُ بَوْرَقٍ عَادِيٍّ وَيُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّهَا نَقُودٌ . . .
أَوْ يَأْتِيكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْحَدِيدِ أَوْ مِنَ الْجُلُودِ يُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّهَا جَنِيهَاتٍ وَأَنَّهَا
ذَهَبٌ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْكَ عَادَتْ إِلَى طَبِيعَتِهَا، يَأْتِيكَ بِحَشَرَاتٍ جَعْلَانٍ أَوْ

خنافس يُخيل إليك أنها أغنام وأنها خراف تمشي، فإذا ذهب من عندك عادت إلى طبيعتها؛ لأنه يستعمل القمر والتخييل، فإذا ذهب التخييل وذهبت القمر عادت الأشياء إلى حقيقتها.

هذا يُسمّى بالسحر التخيلي ولا حقيقة له، وإنما هو قمر وتخييل وسحر للأبصار، ومنه ما يستعمل في المَلاعِب وغيرها من المُسمّى بالسيرك، وهم سحرة دجالون يُخيل إليك أنه يمشي على حبل وأنه يمشي على طرف السكين أو أنه يرقد تحت السيارة وتمشي عليه ولا تضره، يُضرب بالمطارق ولا يتأثر، وهو يكذب.

كل هذا ليس له حقيقة، ولم تضره مطارق ولا جاءت سكاكين، ولم تمش عليه سيارة، لكن أنت تُخيل إليك هذا بسبب ما يعمل من السحر الذي يُخيل إلى بصرِكَ أنه عمل كذا وكذا وهو كذاب، هذا كله سحر تخيلي وباطل.

• حكم السحر والساحر :

والسحر ذكره الله ﷻ في القرآن في مواضع كثيرة؛ وذلك لشدة خطره، ومن ذلك : ما ذكره الله عن قوم فرعون وما حصل لهم مع موسى ذكره الله في سورة الأعراف وسورة طه وسورة الشعراء، ذكر القصة بتمامها وما جاء فيها وما انتهت إليه من بطلان السحر وانتصار الحق.

وذكر الله عن اليهود أنهم يتعاطون السحر، وذلك أنهم لمّا حرفوا التوراة وغيروا فيها؛ عاقبهم الله، فاستبدلوا التوراة بالسحر وعلم

السحر، استبدلوا علم الوحي الذي جاء به موسى - عليه الصلاة والسلام - بعلم السحر الذي جاءت به الشياطين عقوبة لهم؛ لأن من ترك الحق ابتلى بالباطل؛ هذه سنة الله ﷻ، من عرف الحق وتركه ولم يعمل به؛ فإنه يُبتلى بالباطل عقوبة له: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

فالذي يشتغل بالطاعة يعصمه الله ﷻ، والذي يترك الطاعة يُبتلى بالمعاصي والفسوق، والذي يترك الإيمان يُبتلى بالكفر، والذي يترك العلم النافع يُبتلى بالعلم الباطل... وهكذا.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١].
يعني: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١]. نبذوا التوراة؛ لأن فيها ذكر نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ في التوراة والإنجيل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. التوراة والإنجيل ذكرت مُحَمَّدًا ﷺ ذكرت رسالته، جاء اليهود وحرفوها وجحدوا ذكر رسول الله ﷺ حسداً وعناداً؛ عاقبهم الله فاشتغلوا بالسحر.

﴿بَشَرٌ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢].
وهو السحر، فدل على أن عمل السحر من عمل الشياطين، هذا هو الشاهد من الآية على أن السحر من عمل الشياطين، ﴿مَا تَتْلُوا

الشَّيَاطِينُ﴾ يعني: ما تعمله وتتوارثه الشياطين. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يعني: في عهد سليمان - عليه الصلاة والسلام - لأن سليمان سُحِّرَ له العفاريت والشياطين والجن، وفيهم سحرة، وكانوا يتعاطون السحر في عهد سليمان، وفي وقت سليمان - عليه الصلاة والسلام - لكن سليمان عصمه الله من السحر؛ لأنه نبي الله ورسوله، ونسبوا هذا - من شدة كفرهم وضلالهم - إلى سليمان، وقالوا: إن السحر من سليمان، وإنه من عمل سليمان، فبرأ الله نبيه سليمان فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: سليمان - عليه الصلاة والسلام - لم يتعاط السحر؛ لأن السحر كُفِّرَ، والأنبياء لا يمكن أن يتعاملوا بالكفر أبداً ومنهم سليمان - عليه الصلاة والسلام -.

فقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ هذا دليل على أن الساحر كافر، وعلى أن تعلم السحر كفر، ثُمَّ قال: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فدل على أن تعليم السحر كفر.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ بابل: اسم بلد في أرض العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ هاروت وماروت ينصحان الذي يريد أن يتعلم السحر منهما قبل أن يعلماه السحر ينصحانه بأن هذا كفر ولا يجوز، يعني: نحن نختبر الناس ابتلاء وامتحاناً، فينصحانه بهذا بالألّا يقرب السحر ولا يتعلم، لكنه يُصِرُّ ويتعلم، وهذا دليل على أن من تعلم السحر فقد كفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ هذا دليل على

أن السحر حقيقة، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، بجعل الزوج يبغض زوجته والزوجة تبغض زوجها، هذا من عمل السحر.

﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بقدر الله وقضائه ﷻ، فهو الذي يقدر الخير ويقدر الشر، ويقدر الكفر والإيمان، ويقدر المرض والصحة، كل شيء بقدر الله ﷻ، لكنه يقدر المضار على الناس عقوبة لهم وابتلاء لهم، ويقدر المنافع للناس رحمة بهم وجزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

﴿وَيَنَعْلَمُونَ مَا يُصْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ هذا دليل على أن السحر ضرر محض وليس فيه نفع أبداً، بعض المحرمات قد يكون فيها نفع، لكنه نفع مرجوح وضرره أكثر، ولذلك حرمت؛ لأن ما كان ضرره أكثر فهو حرام، ولا ينظر إلى ما فيه من النفع اليسير نظراً للضرر العظيم الذي فيه، فيهدر النفع اليسير بجانب الضرر الكبير، هذه قاعدة شرعية، لكن السحر ليس فيه نفع بوجه من الوجوه لا كثير ولا قليل.

﴿وَيَنَعْلَمُونَ مَا يُصْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ نفى الله عنه النفع مطلقاً، وجعله ضرراً محضاً خالصاً، وهذا دليل على تحريم السحر، وأنه ضرر؛ لأن الشيء الذي ضرره أكثر من نفعه محرم، فكيف بالضرر الخالص؟!

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ يعني: استبدل السحر. الشراء هنا معناه: الاستبدال؛ لأن الشراء معناه: أخذ الشيء وإعطاء شيء، الساحر أعطى الإيمان وأخذ السحر، بمعنى: أنه ترك الإيمان

وأخذ السحر .

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ يعني : من نصيب ، وهذا من أدلة أن السحر كفر ، وأن الساحر كافر ؛ لأن الجنة لا تحرم على من فيه إيمان ، وإنما تحرم الجنة على الكافر : ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

فالساحر محروم من الجنة ما له فيها من خلاق ، يعني : ما له نصيب ؛ لأنه لا يحرم من الجنة نهائياً إلا الكافر ، أما المؤمن ولو كان إيمانه ضعيفاً فإنه لا يحرم من الجنة حتى ولو عذب في النار بذنوبه فإنه يدخل الجنة فيما بعد .

فهذه أدلة من هذه الآية الكريمة في مواضع متعددة منها على أن السحر كفر ، وأن الساحر كافر بالله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ [البقرة : ١٠٣] . هذا دليل على أن الساحر ليس بمؤمن ولا متقٍ .

وفي قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [يونس : ٧٧] .

وفي سورة طه : ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه : ٦٩] . ﴿ وَلَا يَفْلَحُ ﴾ هذا دليل على كفره ؛ لأن الذي لا يفلح أبداً هو الكافر ، أما المؤمن ولو كان إيمانه ضعيفاً فإنه يفلح بحسب إيمانه ، ولا يفلس من الإفلاح أبداً ، إنما الذي يحرم من الإفلاح هو الكافر .

وَسَمَى اللَّهَ السَّاحِرَ مَفْسِدًا : ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكَ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. فدل على أن الساحر مفسد، يفسد في الأرض، يفسد المجتمع، يفسد البلد، يفسد العقائد، يأكل أموال الناس بالباطل، يدجل عليهم، فالساحر مفسد بكل معنى الكلمة.

وفي سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤﴾ [الفلق: ١-٤].

النفاثات: السواحر، والنفث: هو النفخ بشيء من الريق، وذلك أن الساحر ينفث ويقرأ شيئاً من التعويذات الشيطانية، ويستعين بالشياطين والمردة، وينفث ويعقد الخيوط، وينفث فيها فيحصل السحر بهذه العملية، لا أن الخيوط وأن العقد هي التي فعلت هذا، وإنما لأنه استعاذ بالشياطين، وأشرك بالله ﷻ، واستغاث بالشياطين في نفثه وفي قراءته بأسمائهم ومناداته لهم، لكن المغفل لا يدري ماذا يعملون، يحسب أن ذلك مجرد خيوط تعقد، ويظن أن هذا النفث من القرآن، ويقول: إنه يقرأ القرآن، وهو إنما يقرأ كلام الشيطان ولا يقرأ كلام الرحمن.

هذه كلمات عندهم يعرفونها ورموز يعرفونها ليست من الوحي المنزل، وإنما هي من وحي الشيطان، فيغرر بالجهال فيظنون أنه من الرقية الشرعية، يقولون: يقرأ وينفث، وهذا ليس بصحيح، وإنما هذه تورية.

أما أدلة السنة : فقد عد النبي ﷺ السحر من الموبقات ، يعني :
المهلكات .

قال ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : ما هي يا رسول الله ؟
قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،
وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف
المُحصنات الغافلات المؤمنات»^(١) .

الشاهد منه : أنه عد السحر الموبقة الثانية بعد الشرك . . فدل ذلك
على قبحه ، وشدة تحريمه وشناعته ، وأنه مُهلك ، مع ما سبق في آية
البقرة من الدلالة على كفر الساحر ، وتحريم تعلم السحر وتعليمه ، وأنه
كفر في مواضع من آية البقرة ، وقد ذكر النبي ﷺ له أنواعا كثيرة من أجل
تحذير الناس من ذلك .

• أنواع السحر :

- النوع الأول : التنجيم : قال ﷺ : «من اقتبس علما من النجوم فقد
اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(٢) . فالْمُنْجَمُونَ سحرة ، الذين
يتعاطون علم النجوم ويستدلون به على الحوادث الأرضية ، ويقول : إذا
طلع النجم الفلاني يحصل مرض ويحصل موت في الناس ، أو يحصل
مطر وخصب ، وإذا طلع النجم الفلاني تغلو الأسعار أو ترخص

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩/٧) من حديث أبي هريرة ؓ .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣١١/١) من حديث ابن عباس ؓ ، ورواه أبو داود في

سننه (١٥/٤) من حديث ابن عباس ؓ .

الأسعار؛ هذا كفر؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب؛ لأنه لا يعلم ما يجري في المستقبل من حياة وموت وغلاء ورخص وجذب وقحط، لا يعلم هذا إلا الله ﷻ.

فالذي يُخبر عن المستقبل وما يجري فيه يدعي علم الغيب، ويدعيه بواسطة السحر الذي هو التنجيم، فالتنجيم نوع من السحر، فقله ﷻ: «من اقتبس علماً من النجوم» يعني: تعلم علم التنجيم وتعاطاه، وصار يستدل بالتنجيم وأحوال النجوم على ما يجري على الناس، وعلى ما يجري في الأرض في المستقبل من حياة أو موت أو مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو غلاء أو رخص أو غير ذلك؛ فهذا من السحر.

أما معرفة علم النجوم الذي هو علم الحساب ودرجات الفلك وفصول السنة ومواقيت الصلاة... فهو علم مباح ليس سحراً؛ لأن الله خلق النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها^(١): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿إِنَّا رَتَبْنَا آسْمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ ۖ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦-٧]. وحفظاً للسماء من الشياطين ومن استراق السمع؛ لأن الله يرمم الشياطين بالشهب من هذه النجوم فتندحر وتَحترق، هذا المقصود بالنجوم، أما أن المقصود منها الاستدلال على ما يجري في الأرض من الحوادث فهذا عمل السحرة وعمل المُنجمين، وهذا معنى

(١) ذكر ذلك الإمام البخاري في صحيحه (٧٤/٤) عن قتادة بن دعامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «تعليقاً».

قوله ﷺ: «من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(١).

فدل على التنجيم الذي هذا معناه أنه سحر، فالمُنجم ساحر. وإذا كان ساحرًا فهو كافر خارج من الملة، ومن يدعي علم الغيب فهو كافر بل هو من كبار الطواغيت؛ لأن من أنواع الطواغيت ورءوس الطواغيت من يدعي علم الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، ومن أطلعه الله على شيء من علمه كالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

قد يُطلع الله الأنبياء على شيء من علم الغيب لمصلحة الناس، وهذا من معجزاتهم -عليهم الصلاة والسلام- لكن لم يعلموه هم بأنفسهم ولا بالتنجيم ولا بالسحر، وإنما علموه عن طريق الوحي المنزل من الله ﷻ.

أما من يدعي علم الغيب فإنه يعتبر مشركًا كافرًا؛ لأنه يدعي مشاركة الله ﷻ في شيء من خصائصه وهو علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو ﷻ، ومن أطلعهم من رسله، والله لم يُطلع السحرة ولا الكهنة على علم الغيب، وإنما هذا كذب منهم وافتراء على الله ﷻ، وبذلك كفروا وأشركوا بالله ﷻ.

(١) تقدم في (ص ٤٤٥) هامش رقم (٢).

- النوع الثاني: النفث في الخيوط وعقدها: كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْمَقَادِرِ﴾ [التلق: ٤٤]. عقد الخيوط والنفث فيها مع قراءة أسماء الشياطين والتعوذات الشيطانية، هذا نوع من السحر؛ بل هو أعظم أنواع السحر والعياذ بالله، وهذا كفر صريح.

- النوع الثالث من أنواع السحر: علم البيان، قال ﷻ: «إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً»^(١).

لأن فصاحة اللسان والبلاغة في الخطابة قد تكون من أنواع السحر أحياناً؛ لأن الخطيب والمتكلم إذا أعطي بلاغة خيل على الناس، وزين لهم الباطل وبهرج لهم الحُجج؛ فقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً، ودعاة الضلال - والعياذ بالله - من هذا النوع، إذا خطب على الناس دعاهم إلى الكفر وإلى الشرك، وزين لهم ذلك بكلامه وحججه الزائفة حتى يُخيل للناس أنها حق؛ ولهذا قال ﷻ: «وإن من البيان» «من» تبعية ليس كل البيان مذكوماً، فالبيان الذي ينصر فيه الحق ويؤيد به الحق هذا ممدوح، فالخطيب البليغ إذا استعمل ذلك لنصرة دين الله وبيان العلم للناس والدعوة إلى الخير هذا ممدوح، لكن الخطيب والكاتب والشاعر إذا استعمل ذلك لنصرة الباطل وتزييف الحق فهذا ساحر، كما في الحديث: «وإن من البيان لسحراً»^(٢) يعني:

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٠٤/٤) من حديث ابن عباس ؓ بنحوه، وللحديث روايات كثيرة. انظر في ذلك كثر العمال للهندي (٣/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٢) انظر التخريج السابق.

يسحر عقول الناس، فهذا نوع من السحر قد يصل إلى الكفر، وقد يكون دون ذلك حسبما يؤثر من الباطل.

النوع الرابع: النميمة: وهي نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد، يذهب إلى هذا ويقول: فلان يتكلم فيك، فلان يسبك، فلان يتكلم في غيبتك بكلام قبيح في حقك، يقول: أنت بخيل، أنت جاهل، أنت كذا وكذا... ثُمَّ يشحن صدر هذا الشخص على أخيه، ثُمَّ يذهب إلى الثاني يقول: والله فلان يسبك، فلان يتكلم فيك؛ فيوقع بين الاثنين عداوة، بين الأصدقاء وبين المؤمنين؛ لأن المؤمنين إخوة، فإذا جاء المنام فرق بين المسلمين؛ بل رُبَّما أثار الحرب بين المسلمين، ورُبَّما سبب القطيعة بين المسلمين فلا يتواصلون إلى الموت، ورُبَّما يفرق بين الأقارب بين الوالد وولده، وبين الأم وولدها، وبين الأخ وأخيه، ورُبَّما يفرق بين العالم وبين طلابه، رُبَّما يفرق بين طلبة العلم، رُبَّما يفرق بين عامة المسلمين، ويجعل المجتمع كله شرًّا، وكله بغضاء بسبب هذا المنام، هذا نوع من السحر؛ لأن السحرة كما قال الله عنهم: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. المنام مثل هذا يفرق بين الأحباب.

ولهذا جاء في بعض كلام السلف: إن المنام يفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة^(١)؛ لأن الساحر قد يكون إفساده محصوراً بين اثنين أو بين ثلاثة أو جماعة قليلة، لكن المنام يُفسد المجتمع كله؛ لأنه

(١) ذكره ابن مفلح في الفروع (٦/ ١٨٠).

شَغَال يَخْرُج من هذا المَجْلِس ويدخل في هذا المَجْلِس ، ويذهب من هذا المَكْتَب إلى هذا المَكْتَب ، وهكذا هو شَغَال بالنميمة ، بحيث إنه يؤجج الشر بين الناس . قال ﷺ : «ألا أخبركم ما العضه - يعني : السحر - هو النميمة ، القالة بين الناس»^(١) .

هذا نوع من السحر ، وإن كان النمام لا يأخذ حكم الساحر في الكفر ؛ لكن عمله يشبه عمل الساحر ، وهو لا يكفر ؛ لأن النميمة كبيرة من كبائر الذنوب لا تصل إلى حد الكفر ، لكن النميمة تؤثر مثل عمل الساحر أو أشد ، وإنما سُمي ساحراً من ناحية أثر النميمة فقط ، والنمام يعتبر فاسقاً ؛ لأنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب يجب عليه التوبة إلى الله من ذلك العمل ، فهذه من أنواع السحر التي بيَّنها ﷺ من أجل أن تُجتنب ويُبعد عنها .

● عقوبة الساحر :

أما عقوبة الساحر عند أهل العلم : فقد اتفق الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأتباعهم وجمهور العلماء على أنه يُقتل ولا يستتاب إذا ثبت أنه ساحر إما بإقراره وإما بشهادة اثنين عليه ، فإذا ثبت أنه ساحر إما بالإقرار أو بالبينّة يجب قتله ولا يستتاب ؛ لأنه وإن أظهر التوبة فإنه لا يصدق في توبته وإنما يظهر التوبة خداعاً ؛ لأنه يعتبر من الزنادقة ، والزناديق لا يستتاب بل يُقتل ؛ لأن إفساده لا يؤمن حتّى وإن تاب ، فهو يُظهر التوبة خداعاً وبدليل قوله ﷺ : «حد الساحر ضربه بالسيف ، أو

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٢/٤) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ .

ضربة بالسيف^(١).

هذا الحديث ورد عن النبي ﷺ مرفوعاً وورد موقوفاً بإسناد صحيح: أن حده ضربه بالسيف من غير استتابة؛ لأن الحديث أُطلق، فقال: «حده ضربه بالسيف». ولم يقل: يستتاب.

هذا هو الصحيح، أنه يُقتل ولا يستتاب، هذا الذي عليه جمهور أهل العلم، ولا يفصل في سحره، لا يقال: كيف سحره، بين لنا سحره؛ لأن من العلماء من يقول يفصل في سحره: فإن كان من النوع الذي يكفر حكم بكفره، وإن كان من النوع الذي لا يكفر فإنه لا يُحكم بكفره، ولكن يُمنع.

وهذا الكلام غير صحيح؛ لأن السحر لا يكون إلا كفرًا أبدًا؛ لأنه لا يُمكن إلا عن طريق الشياطين وعن طريق الشرك بالله ﷻ، فهذا القائل توهم أن هناك سحرًا لا يكون عن طريق الشياطين، فالصحيح والراجح الذي عليه الجمهور أنه كفر مطلقًا وأنه يُقتل مطلقًا، هذا هو الصحيح.

والذي فصل في ذلك قوله مرجوح؛ لأنه مبني على وهم، توهم أنه يوجد نوع من السحر لا يكون بعمل الشياطين وهذا غير موجود، ولأن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بعد أبي بكر الصديق كتب إلى عماله:

(١) رواه الترمذي في سننه (١٥٦/٥)، ورواه الطبراني في الكبير (١٦١/٢)، ورواه الدارقطني في سننه (١١٤/٣)، ورواه الحاكم في مستدركه (٣٦٠/٤)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٦/٨) كلهم من حديث جندب رضي الله عنه.

«أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»، ولم يأمر باستتابتهم، قال الراوي: فقتلنا ثلاث سواحر^(١). أي: تنفيذاً لقول عمر، وقد كتب إلى عماله بحضرة المهاجرين والأنصار بقتل السحرة، ولم ينكر عليه أحد، هذا دليل على أن الساحر يُقتل ولا يستتاب.

وكذلك حفصة بنت عمر رضي الله عنهما زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وهي أم المؤمنين صحابية جليلة، قتلت جارية لها سحرتها^(٢).

وكذلك جندب بن عبد الله أو جندب بن كعب الأزدي قتل ساحراً في مجلس الخليفة، قتله بالسيف^(٣) وهو صحابي.

ولهذا يقول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ^(٤). يعني: عمر وابنته حفصة وجندب.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٩٠-١٩١)، ورواه أبو داود في سننه (٣/ ١٦٥)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٦) كلهم من حديث بجاله رضي الله عنه، ورواه غيرهم.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٨٧١) بلاغاً. ورواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٠/ ١٨٠-١٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وانظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢/ ١٠٥).

(٣) رواه البخاري في تاريخه (٢/ ٢٢٢) من حديث عبد الرحمن بن يزيد، ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٧٧) من حديث أبي عثمان النهدي، وانظر المصنف لعبد الرزاق (١٠/ ١٨١-١٨٢)، ورواه البيهقي في سننه (٨/ ١٣٦) من حديث أبي عثمان النهدي، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ١٧٦-١٧٧).

(٤) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢/ ١٠٥).

فهذا دليل على قتل الساحر من غير استتابة ؛ بل يبادر بقتله من أجل إراحة المسلمين من شره ، وعلى كلِّ فالأمر خطير ، والواجب على من عرف في هذا البلد أو في غيره عن أحد من السحرة أنه يتعاطى السحر الواجب عليه أن يبادر بالإبلاغ عنه ، بأن يبلغ ولاية الأمور عنه بسرعة من أجل أن يُقضى عليه ويراح المسلمون من شره وفساده .

نسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وصلاح القلوب واجتماع الكلمة ولمّ الشمل ونصرة الحق ودفع الباطل ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ .
